

تفسير البحر المحيط

@ 271 @ الفقه ، ولم يذكر في هذه السورة منه ، وذكر ذلك في المائدة ، فدلّت على مذهب الشافعي في نقل شيء من الممسوح به إلى الوجه والكفين ، وحمل هذا المطلق على ذلك المقيد ، ولذلك قال الزمخشري : (فإن قلت) : فما تصنع بقوله في سورة المائدة : { فَاَمْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ مِّنْهُ } أي بعضه وهذا لا يتأتى في الصخر الذي لا تراب عليه ؟ (قلت) : قالوا : إنها أي من لابتداء الغاية (فإن قلت) : قولهم أنها لابتداء الغاية قول متعسف ، ولا يفهم أحد من العرب من قول القائل : مسحت برأسه من الدهن ، ومن الماء ، ومن التراب ، إلا معنى التبعض (قلت) : هو كما تقول ، والإذعان للحق أحق من المراء . .

{ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا غَفُورًا } كناية عن الترخيص واليسير ، لأن مَنْ كانت عاتيه أن يعفو عن الخطئين ويغفر لهم ، آثر أن يكون ميسرًا غير معسر انتهى كلامه . والعجب منه إذ أذعن إلى الحق ، وليس من عادته ، بل عادته أن يحرف الكلام عن ظاهره ويحمّله على غير محمله لأجل ما تقرر من مذهبه . وأيضًا فكلامه أخيرًا حيث أطلق أن [] يعفو عن الخطئين ويغفر لهم ، العجب له إذ لم يقيد ذلك بالتوبة على مذهبه وعادته فيما هو يشبه هذا الكلام . .

2 ({ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يَشْتَرُونَ الضَّلَالَةَ وَيُرِيدُونَ أَن تَضِلُّوا السَّبِيلَ * وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَائِكُمْ * وَكَفَى بِاللَّهِ وَلِيًّا * وَكَفَى بِاللَّهِ نَصِيرًا * مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّسُ فُؤُوسَ الْكَلِمِ عَنْ مَّوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمِعْ غَيْرَ مُسْمِعٍ وَرَاعِنَا لَيْئًا * بَأْسًا لِّسِنَتِهِمْ * وَطَاعِنًا فِى الدِّينِ وَلَوْ أَنَّنَاهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاسْمِعْ وَانْطَرُونَا لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَئِن لَّعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا } (2 .

{ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ } قال قتادة : نزلت في اليهود . وفي رواية عن ابن عباس : في رفاة بن زيد بن تابوت . وقيل : في غيره من اليهود . ومناسبة هذه الآية لما قبلها أنه تعالى لما ذكر شيئًا من أحوال الآخرة ، وأن الكفار إذ ذاك يودون لو تسوّى بهم الأرض ولا يكتُمون [] حديثًا ، وجاءت هذه الآية بعد ذلك كالاغتراف بين ذكر أحوال الكفار في الآخرة ، وذكر أحوالهم في الدنيا وما هم عليه من

معاداة المؤمنين ، وكيف يعاملون رسول الله صلى الله عليه وسلم) الذي يأتي شهيداً عليهم وعلى غيرهم . ولما كان اليهود أشد إنكاراً للحق ، وأبعد من قبول الخير . وكان قد تقدّم أيضاً الذين يخلون ويأمرون الناس بالبخل ويكتمون ، وهم أشد الناس تحلياً بهذين الوصفين ، أخذ يذكرهم بخصوصيتهم . وتقدم تفسير ألم تر إلى الذين في قوله تعالى : { أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ } فأغنى عن إعادته . . . والنصيب : الحظ . ومن الكتاب : يحتمل أن يتعلق بأوتوا ، ويحتمل أن يكون في موضع الصفة لنصيباً . وظاهر لفظ الذين أوتوا ، يشمل اليهود والنصارى ، ويكون الكتاب عبارة عن التوراة والإنجيل . وقيل : الكتاب هنا التوراة ، والنصيب قيل : بعض علم التوراة ، لا العمل بما فيها . وقيل : علم ما هو حجة عليهم منه فحسب . وقيل : كفرهم به . وقيل : علم نبوة محمد صلى الله عليه وسلم) . .

{ يَشْتَرُونَ الضَّلَالَةَ } المعنى : يشترون الضلالة بالهدى ، كما قال : { أَوْ لَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُوا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى } . .

قال ابن عباس : استبدلوا الضلالة بالإيمان . وقال مقاتل : استبدلوا التكذيب بالنبي بعد ظهوره بإيمانهم به قبل ظهوره واستنصارهم به انتهى . ودل لفظ الاشتراء على إثارة الضلالة على الهدى ، فصار ذلك بغياً شديداً عليهم ، وتوبيخاً فاضحاً لهم ، حيث هم عندهم حظ من علم التوراة والإنجيل ، ومع ذلك آثروا الكفر على الإيمان . وكتابهم طافح بوجوب اتباع النبي الأمي الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل . وقيل : اشتراء الضلالة هنا هو ما كانوا يبذلون من أموالهم لأخبارهم على تثبيت دينهم قاله : الزجاج . . { وَيُرِيدُونَ أَنْ تَضِلُّوا السَّبِيلَ } أي : لم يكفهم أن